الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور – خنشلة –

- كلية:الآداب واللغات
- قسم:اللغة والأدب العربي
- شعبة:أدب عربي
- التخصص: أدب قديم

المثاقـــفة في أدب الرحلة ـ رحلة ابن فضلان ـأنموذجا

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر

إعدادالطالبة: غنيمة فهيمة

إشراف الأستاذ: د. غنيمي الوردي

أعضاء لجنة المنـــاقشة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. رواق حورية	أستاذ محاضر – أ–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	رئيسا
د. غنيمي الوردي	أستاذ محاضر–ب–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مشرفا ومقررا
د. قواس نبيل	أستاذ مساعد–أ–	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مناقشا

السنة الجامعية 2017– 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

أتوجه بالشكر لكل الأساتذة بجامعة عباس لغرور _خنشلة_ كلية الآداب واللغات، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: **د. غنيمي الوردي** على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات من أجل إنجاح هذا العمل كما نتقدم بجزيل الشكر والاحترام إلى كل من أمدنا يد العون وساعدنا في إتمام هذا البحث العلمي المتواضع.

إهداء:

إلى النور الذي أضاء لي درب النجاح **أمي** العزيزة أطال الله عمرها.

إلى من ساعدني في كفاحي ولم يبخل على، إلى الذي رباني وتعب من أجل أن أشق لنفسي طريق النجاح والسعادة **أبي** الغالي حفظه الله وشفاه.

إلى كل إخوتي وأخواتي، وأخص الذكر القريب من القلب والبعيد عنا **إبراهيم** رعاه الله وإلى كل الأقارب والأصدقاء.

أهدي ثمرة جهدي إلى كل باحث وطالب علم.

مقدمة:

يعد فن الرحلات من الأنواع السردية العريقة في الأدب العربي، كما أنها تلعب دورا بارزا في ثقافة التواصل بين الشعوب وبعضها البعض، والتعرف على الآخر ومشاركته أفكاره وأطروحاته وتفرض الثقافة المنتجة للتواصل، حيث كان للنص الرحلي عيونا مفتوحة على مختلف مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية وكل ما يساهم في تشكيل خصوصيته، ويتجلى ذلك من خلال الموضوع الذي اخترناه والموسوم " بالمثاقفة في أدب الرحلة _رحلة ابن فضلان أنموذجا_" ولقد اخترنا الموضوع لسببين اثنين أما الأول فهو ذاتي:

إعجابا برحلة ابن فضلان وتميزه وتألقه في رحلته هذه، وقد كان متميزا في عصره حيث أنه كان متفردا بمشاعره وأحاسيسه الدينية والأدبية التي طبعت رحلته بطابع خاص.

أما السبب الثاني فهو موضوعي يتمثل في:

- محاولة اكتشاف ثقافة الآخر من خلال نص الرحلة.
- الرغبة في المساهمة في إثراء الدراسات المتعلقة بالفنون النثرية التراثية خاصة لأن كثير من الباحثين انحازوا إلى الشعر على حساب النثر.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح العديد من التساؤلات لعل أهمها:

- ما الفرق بين المثاقفة والثقافة ؟
- ما هو أدب الرحلة وأقسامها ومميزاتها ؟
- كيف تجلت آثار المثاقفة في نص الرحلة ؟

والإجابة على الإشكالية التي يطرحها البحث تم الاعتماد على المنهج التاريخي مع الاستعانة بآلية الوصف والتحليل وذلك لغرض توضيح ما رآه الرحالة من البلاد الأخرى ومن أجل تحقيق أهداف هذه الدراسة اتبعنا إلى الخطة التالية، حيث قسمنا البحث إلى المدخل وفصلين مسبوقين بمقدمة ومتبوعين بخاتمة، وقد كانت كالآتي:

- المدخل: المثاقفة النشأة والتداول.

تطرقنا فيه إلى مختلف التعريفات التي تناولت الثقافة، والمثاقفة، مع التركيز على تاريخ نشأة مصطلح المثاقفة وأنواعها، ثم خصصنا فصلين للدراسة والتنقيب عن معالم هذه الرحلة، ففي الفصل الأول تطرقنا فيه إلى أدب الرحلة المفهوم والتطور، والذي تناول الرحلة، أدب الرحلة أهميته ودوافعه وأنواعه، والتركيز على مراحل تطور هذا الفن عبر العصور التاريخية.

أما الفصل الثاني، درسنا فيه مظاهر المثاقفة في رحلة ابن فضلان مما جعله ينتصب كعنوان شامل لعناصرها الثقافية، الاجتماعية والدينية أو العقائدية لمختلف تلك البلدان التي زارها الرحالة.

وتوصلنا في خاتمتنا إلى بعض النتائج ذكرناها حسب الأهمية في البحث.

وألحقنا بحثنا بملحق يتضمن نبذة عن حياة الرحالة ورحلته.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة؛ فقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الدراسات السابقة التي ساعدتنا كثيرا في المضي قدما مثل: رحلة ابن فضلان: لشاكر لعيبي والعجائبية في رحلة ابن فضلان أنموذجا: لعلاوي الخامسة.

كما ساعدتنا في هذه الدراسة مصادر ومراجع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة أحمد ابن فضلان للدكتور " سامي الدهان".
- الرحلة والرحالة المسلمون "أحمد رمضان أحمد"
- الرحلة في الأدب العربي "شعيب حليفي".
- أدب الرحلة في التراث العربي "فؤاد قنديل"
- الرحلات "شوقي ضيف".

وككل الدراسات لم تكن دراستنا سهلة، بل اعترضتنا بعض الصعوبات من بينها:

- صعوبة الحصول على أهم المراجع للدراسة من الناحية الموضوعية.
- وعدم توفر المدونة كمادة ورقية.

ولست أزعم أننا قد أحطنا بجميع جوانب هذا الموضوع فكل أمر إذا ما تم نقصان وحسبي الاجتهاد وإنارة الزوايا المعتمة من هذا البحث.

وأخيرا أشكر الله عز وجل على تمام هذا البحث، كما أتوجه بجزيل الشكر وخالص الامتنان للأستاذ الدكتور المشرف: **غنيمي الوردي**، الذي كان له يد العون في إخراج هذا البحث عن أحسن وجه.

كما لا ننسى توجيه أسمى عبارات الشكر والتقدير للجنة المناقشة.

تمهيد:

تنوعت ألوان الحضارة، وتعددت مقومات الثقافة عبر التاريخ في مسيرة الحياة البشرية، إثر هذا الامتزاج والتلاقح بين الحضارات أو الثقافات حيث خلفت نتاجا حضاريا مميزا لدى المجتمعات، مما يجعلها في عملية تأثر وتأثير، أخذ وعطاء لمختلف الظواهر سواء العملية، الاجتماعية والاقتصادية، وبهذا يعد الإنسان بالأساس كائنا ثقافيا، ببحثه عن المعرفة والرغبة في الامتلاك.

ونتيجة التفاعل الحاصل بين مختلف الثقافات على كافة مستويات التأثير والاستيعاب والتمثل والتعديل والرفض، نلمس لدى كل مجتمع ثقافة واسعة بالآخر واطّلاعه على مختلف اللهجات والعادات والتقاليد الأخرى، فلكل منها سمة خاصة تميّزه عن ثقافة الطرف الآخر، بل هذا ما يصطلح عليه اليوم بمصطلح " المثاقفة " التي تدل على ظاهرة تأثير وتأثر الثقافات البشرية بعضها ببعض بفعل اتصال واقع فيما بينها.

فالثقافة لا تتيح للإنسان التكيف مع بيئته فحسب، بل تتيح له إمكانية تكييف هذه البيئة لحاجاته ومشروعاته.

وبما أن مصطلح المثاقفة هو وليد الثقافة، كان لابد من تبيان لمبنى الثقافة ومعناها قبل الدخول إلى مصطلح المثاقفة؛ ذلك لأننا نعيش في عصر فوضى المصطلحات وتداخل المفاهيم، والثقافة هي الأخذ من كل علم بطرف، فهي الأصل في معرفة العلوم الأخرى، فهي تقترب من المثاقفة في تكوينها.

1. مفهوم الثقافة:

أ- لغة:

لم تشر المعاجم العربية القديمة إلى مفهوم "الثقافة"، ولم تحددها تحديدا معيّنا، إذ نجد في معجم الصحاح مادة:" ثقف: ثَقُفَ الرجل ثقفا وثقافة، مثال: ضخُمَ فهو ضخمْ، ومنه المثاقفة والثقاف: ما تُسوَّى به الرماح وتثقيفُها: تسوِيَتُها، وثَقِفْتُهُ ثقفا: مثال بلعته بلعا، أي صادفته. قال الشاعر:

فإِمَّا تَثْــقِفُونِي فَاقتُلُونِي *** فَإن أَثْقَفُ فَسوفَ تَرونَ بَالِي

وثَقِفَ أيضا ثقفا، مثال تعِبَ تعباً، لغة في ثَقُفَ أي صار حاذقا فطنا، فهو ثَقِفٌ و ثَقْفٌ "[1]

وأيضا جاء في معجم أسرار اللغة في مادة ث ق ف:

يقول عز من قائل آمرا بقتال أعداء الله وأعداء نبيه << وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ >> البقرة: 191.

وكذلك قوله تعالى << فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ >> الأنفال: 57.

و << تثقفتهم>> أي تصادفهم وتجدنهم.

وقال **حسان بن ثابت:**

فَإِمَّا يَثقِفَنَ بَني لُؤَي *** جُذِيمَة إِنَّ قَتلَهُم دَاءٌ [2]

والمعنى أنه إذا وجد بني لؤي جذيمة وصادفوها فليقتلوها فإن في قتلها شفاء للنفوس وراحة للقلوب.

ومن خلال هذه التعاريف، فهذه المعاني قريبة من بعضها البعض، الحذق والفطنة طريق إلى سرعة التعلم و به يكون الضبط لما يتعلمه والظفر به وإدراكه.

---

[1]- أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: محمد محمد تامر،أنس محمد الشامي وآخرون، مجلد 1، دار الحديث_القاهرة، 1430هـ_2009م، ص: 148.

[2]- محمود محمد الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، ج1، المكتبة المكية: دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1428هـ_2008م، ص: 206.

أما المعاجم الحديثة تجاوزت هذا المدلول إلى مدلول أوسع وأرحب إذ تضم ميادين عدة، فـ**مجدي وهبة** يشير إلى أربعة معاني للثقافة نلخصها في النقاط التالية:

"– الثقافة هي رياض الملكات البشرية بحيث تصبح أتم نشاطا واستعدادا للإنجاز.

–ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الأدب والفنون الجميلة.

–تعد إحدى مراحل التقدم في حضارة ما.

–أنها من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات."[1]

ومما سبق لنا ذكره بتعدد التعريفات، يتبين أن الثقافة هي نتاج المجتمع بكل ما فيه والخبرات الإنسانية المادية وغير المادية التي اكتسبها الإنسان من خلال التفاعل الذي تم بينه وبين البيئة، والثقافة هي ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك، بل هي لا تقوم حول تعريف واحد ومدلول واحد وإنما تشمل عدة معاني.

ب– اصطلاحا:

فقد تعددت تعريفات مصطلح الثقافة بتعدد المناهج المعرفة المستخدمة في تعريفه وتعدد الزوايا المنظور منها إليه وتركيز كل تعريف على عنصر معين من عناصر الثقافة.

"وقد اكتسبت كلمة ثقافة Culture، معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فالكلمة الفرنسية تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية Cultes، لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبّر عن (فلاحة الأرض)"[2]

ولا شك أن أقدم التعريفات التي حاولت الإحاطة بالجوانب المتعددة للثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن هو تعريف الأنثربولوجي الإنجليزي **إدوارد تايلور (EB.Taylor) (1836_1917)** والذي قدّمه في كتابه " الثقافة البدائية" عام 1871، والذي يذهب فيه إلى التعريف التالي "الثقافة أو الحضارة بالمعنى الإثنوغرافي الواسع: هي كل

[1]– مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان_بيروت، ط2، 1994_1984، ص: 129.

[2]– عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص: 28_29.

مركب يشمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين"[1]

إن الثقافة بذلك تعد عنصرا مائزا لطريقة حياة الجماعة وشخصيتها المعنوية من غيرها من المجتمعات، كما تمثل نمطا متكاملا لحياة أفرادها، فضلا عن أنظمة القيم الحاكمة للعلاقات القائمة بين الأفراد وبعضهم البعض داخل الجماعة وخارجها على حد سواء.

ولإدراك المعنى الحالي لمفهوم الثقافة واستخدامه في العلوم الاجتماعية، لا بد من العودة إلى أصله الاجتماعي، وإلى نسبه Généalogie، بمعنى آخر النظر في كيفية تشكل الكلمة ثم المفهوم العالمي المرتبط بها وبالتالي البحث في أصله وعن تطوره الدلالي " إن تطور أي كلمة يستند إلى عدة عوامل ليست ذات طابع لغوي وميراثها اللغوي يخلق نوعا من الارتباط بالماضي في استخداماته المعاصرة من مسيرة كلمة "ثقافة" لا تحتفظ إلا بما يوضح تكون المفهوم بالشكل الذي تستخدمه به العلوم الاجتماعية، كانت الكلمة وستبقى دائما مطبقة على علاقات شديدة التنوع بمعان شديدة الاختلاف لدرجة أنه من المستحيل علينا الإحاطة بتاريخها كاملا"[2]

أي أن الثقافة هي كل أوجه النشاط الإنساني التي كانت ثمرة الاجتماع الإنساني، فهي تمثل كل ما يرِثُه الفرد عن محيطه الاجتماعي بواسطة التعليم والتربية الاجتماعيين وتكسبه كل السلوك المشتقة من مجالات النشاط البشري التي تتضمن مختلف العلوم والمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد وكل الأشياء المادية التي يصنعها بنفسه.

2. تعريف المثاقفة:

هناك تعريفات كثيرة لمصطلح المثاقفة Acculturation، متشابهة أحيانا، ومختلفة في سياقات أخرى.

---

[1]– المرجع السابق، ص: 31.

[2]– دنيس كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية؛ى تر: قاسم المقداد، دار الكتاب العرب، 2002، ص: 16.

جاء مصطلح المثاقفة على وزن مُفاعَلَةٌ وهو من فعل ثَاقَفَ وهي على وزن فَاعَلَ ويدل هذا الوزن على معنى " المشاركة وهي الدلالة على أن الفعل حادث من الفاعل والمفعول معا" ويدل الوزن أيضا على "معنى المتابعة وهي دلالة على عدم انقطاع الفعل"[1]

فالمثاقفة تحمل فيما تحمله من المعاني والدلالات معنى المشاركة الدائمة واللامنقطعة بين طرفين أو أكثر؛ أي الاشتراك في ثقافة معيّنة والتبادل بين ثقافة أخرى كما تعرف المثاقفة في قاموس المورد إنجليزي_عربي: " هي مجموعة من الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في الأنماط الثقافية الأولية لهذه المجموعة أو تلك"[2]

أي هي التفاعل الحاصل بين جميع الثقافات والآداب المختلفة،" فالمثاقفة مصطلح سوسيولوجي أنثروبولوجي ذو معان متداخلة تقريبية، وبصفة عامة يطلق على دراسة التغيير الثقافي الذي يحصل ويتحقق نتيجة لشكل من أشكال الاتصال بين الثقافات (الاستعمار_الرحلات_الأسفار_المبادلات التجارية_الحوار_الترجمة_...) وتؤدي المثاقفة إلى اكتساب عناصر جديدة بالنسبة لكلتا الثقافتين المتصلتين"[3]

حيث أن المثاقفة تدل في حقل الأنثروبولوجيا** الثقافية على ظاهرة تأثير وتأثر الثقافات البشرية بعضها ببعض بفعل اتصال واقع فيما بينهما، أيا كانت طبيعته ومدّته.

ويرى **الجابري** أن مفهوم حوار الحضارات أو حوار الثقافات لا معنى له لأن الثقافات تتداخل وتتلاقح يقول في حوار له:" فالثقافات تتحاور وتتلاقح وتتداخل بشكل

---

[1]– عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص: 35.

[2]– منير بعلبكي، قاموس المورد–إنجليزي_عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1994، ص:24.

[3]– عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، تر: محمد برادة، دار العودة، بيروت، ط1، 1980، ص:67.

**_ أنثروبولوجيا؛ الإناسة (Anthropology) كلمة اشتقت من الإغريقية (أنثروبوس) التي تعني الإنسان، فهي علم الإنسان.

عفويّ، وليس عبر تنظيم المؤتمرات أو الندوات، إن المثاقفة تتم عن طريق الاحتكاك الحضاري عبر قنوات ووسائط مختلفة"[1]

فإن **محمد الجابري** يرى أن الثقافات تتداخل وتتلاقح، وهذا التداخل يتم بشكل عفوي لا إرادي، ليس بشكل مخطط له وإلا اعتبر غزوا ثقافيا.

وتعني المثاقفة بمعنى آخر "نوع من ردَ فعل كيان ثقافي معيّن، تجاه تأثيرات وضغوط ثقافية تأتيه من خارجه، وتمارس عليه سلطة مباشرة أو غير مباشرة، علانية أو بكيفية خفية تدريجية"[2]

فمصطلح المثاقفة أصبح يدلّ على معنى آخر؛ مع نتاج الدراسات الحديثة، وهو العلاقة الثقافية التبادلية مع الحضارات الأجنبية، عكس ما يدل عليه الاصطلاح القديم الذي يحمل في طياته صورة طرفين يتبادلان المعرفة والثقافة فيما بينهما داخل حضارة واحدة، ويشتركان في اللغة نفسها، ومواضيع ثقافية يعرفها الطرفان المتثاقفان.

3. نشأة مصطلح المثاقفة:

إن تاريخ المصطلح يعود لنهاية القرن التاسع عشر، حيث كان العالم النفسي **جون ويسلي باول (J.W.Powell)** أول من صك هذا المصطلح عام 1880م، ثم طوّره عام 1883م، وعرّفه "بأنه يشير إلى التغيرات النفسية الناجمة عن المحاكاة عبر الثقافية"[3]

وكان "الإنجليز يستعملون بدلا عنه مصطلح التداخل الثقافي (CulturalExchanging)، في حين آثر الإسبان مصطلح التحول الثقافي (Tranculttrating)، وفضل الفرنسيون مفهوم تداخل الحضارات، إلا أن مصطلح المثاقفة أصبح أكثر تداولا وانتشارا"[4]

---

[1]– محمد عابد الجابري، ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثقافات شعار ظرفي، لقاء مع د. محمد الجابري، مجلة آيس، ع2، ص: 66_67.

[2]– جمال مباركي، المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة (نماذج مختارة)، مجلة قراءات، ع5، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة_الجزائر، ص:107.

[3]– نجيب التلاوي، عبد الصبور وإليوت ...، دراسة عبر حضارية المثاقفة، ص: 8.

[4]– خليل السعداني، مفهوم المثاقفة، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط2، 2003م، ص: 4.

المثاقفة –إذا– " مصطلح حديث ينتمي إلى الحقل المفاهيمي للأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم الاجتماع، وكان قد اقترح من طرف علم أنثروبولوجيين أمريكيين منذ 1880م، أما اليوم فقد أصبح مفهوما جوّالا ينتقل بين فروع معرفية مختلفة كالأدب المقارن والنقد مثلا" [1]

وهناك من يرجع تاريخ المثاقفة ويربطها بالأصالة وأثر الثقافة الغربية المعاصرة في الميادين العلمية، لذلك نشأ نوع من التثقيف لدى فئات المجتمع ويذكر **إحسان عباس** بعض ملامح هذا المفهوم في كتبه المتنوعة، إذ يشير بقوله " إن الذين رسموا التفتح الجديد قد أعطوا دلالة واسعة عن مفهوم المثاقفة والتفاعل مع الآخر دون الذوبان فيه"[2]

ويشير هنا إلى الأصالة وعلاقتها بالمثاقفة، أي أن الفرد يتأثر بالآخر في نظر **إحسان عباس** من غير الحلول فيه.

إن تحديد المصطلحات والمفاهيم تساعد على فهم أفضل للفرضيات والاستنتاجات، ويبعدنا عن التأويل الخاطئ، ويحاول هذا المفهوم أن يختزل واقع التعايش وتلاقح ثقافات مختلفة، ويقتضي المنهج المتبع لدراسة مظاهر المثاقفة الارتكاز على التاريخ الذي يبحث في التغيرات الاجتماعية، وكذا على الأنثروبولوجية، لأنها تساعدنا في دراسة المجتمعات البدائية التي لا تتوفر على وثائق مكتوبة، ولكن على رواية شفوية يستطيع الأنثروبولوجي اعتمادا عليها أن يستحضر ماضي هاته المجتمعات.

4. أنواع المثاقفة:

ويتم ذلك عبر آليات متعددة منها ما هو سياسي أو عسكري أو اقتصادي ومنها كذلك ماهو ثقافي، وعلى هذا الأساس يجب ألا نفهم المثاقفة كأشياء مجردة، بل كعناصر تجسدها وتحملها مجموعات بشرية عدة، وتتمثل في جميع مظاهر التعبير

[1]– جمال مباركي، المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة، ص: 107.

[2]– إحسان عباس، أوراق مبعثرة: بحوث ودراسات في الثقافة والتاريخ والأدب والنقد الأدبي، تحقيق: عباس عبد الحليم عباس، دار الكتاب العالمي، ط1، ص: 527.

الإنساني سواء تعلق الأمر بالفنون أو المعتقدات والأخلاق، ويميز المؤرخون بين نوعين من المثاقفة.

أ. المثاقفة التلقائية أو الطوعية:

والمقصود بها "تلك المثاقفة التي تدفع باتجاهها أسئلة اللحظة الاجتماعية–التاريخية المحددة التي تعيشها الجماعة البشرية، طارحة حاجتها الثقافية الفعلية بما يحدد طبيعة تفاعلها الثقافي مع الآخر، وهي تعتبر المثاقفة الأصل، والمثاقفة الطبيعية التي من خلالها انتقلت جميع الفنون والآداب والعلوم عبر أصقاع العالم المختلفة، وعن طريقتها تكونت الحضارات والبؤر الثقافية التاريخية"[1]

إذ أن المثاقفة التلقائية " في العادة تتمظهر في أشكال بسيطة ومحدودة، وأحيانا بدائية تكاد تنحصر في التلاقح الناتج عن الاتصال الحربي أو السلمي الذي يراد منه تحقيق مكاسب مباشرة لا تتصل بأية أبعاد بنيوية، ومن أمثلتها القريبة الحروب التي هدفت للحصول على العبيد، أو الحصول على الخيرات المادية والأرباح التجارية"[2]

فالمثاقفة الطوعية إذا تندرج في إطار التلاقحات الناتجة عن الحروب الناجمة عن الرغبة في الحصول على الاتصالات السلمية بواسطة التجارة، الفنون والآداب والعلوم عبر مختلف البلدان.

ب. المثاقفة القسرية أو المفروضة:

هي تلك المثاقفة التي " تقوم على فرض أنماط سلوكية وأطر معرفية، مفهومية لا تتطلبها ولا تسعى إليها الجماعة البشرية المحددة في طورها الاجتماعي–التاريخي المحدد، وهي بذلك تعد نوعا من الإملاء الثقافي الذي يدعم أغراضا أخرى تندرج في إطار الهيمنة بأشكالها المتداخلة: العسكرية والسياسية والاقتصادية، ومن أهم أشكاله

---

[1]– صلاح السروي، المثاقفة وسؤال الهوية (مساهمة في نظرية الأدب المقارن)، ديوان العرب 2009، 2018/12/9 ص: 27.

[2]– محمد باسل سليمان، المثاقفة، تفاعلات واستيعابات، الحوار المتمدن، 2008/04/25، www.mahwar.org ص: 7.

في العصر الحديث محاولات القوى الاستعمارية محو اللغات الوطنية وبالتالي الثقافات الوطنية، وإحلال لغته وثقافته محلها"[1]

حيث تكون هذه المثاقفة "متلقاة بالإكراه بعد سيطرة شعب أو أمة على أخرى بواسطة القوة في الحروب، وتتم هذه المثاقفة دائما بشكل مباشر عبر هضم الحقوق السياسية والاقتصادية وتغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة، وكذلك المس بشعائرهم الدينية، وأعرافهم وتقاليدهم الرائجة"[2]

فهذا النوع من المثاقفة يتم عبر سيطرة قوة مستعمرة على قوة مستعمرة بصفة مباشرة وبالقوة على الشعوب وذلك بعد هضم حقوقهم الاقتصادية والسياسية والمساس بشعائرهم الدينية، ومنها ما تحاوله فعاليات العولمة الآن من محاولات الطمس الثقافي عن طريق ما يسمى بصدام الحضارات.

5- مصطلح المثاقفة في الفكر العربي:

تكاد الكثير من التعريفات تتفق حول عنصر الاحتكاك، وإن كانت تتفاوت في تحديد مكانة الطرفين الذين تم بينهما هذا الاحتكاك " فالمثاقفة تدل أحيانا على الاحتكاك اللاإرادي الذي يفرض فيه الطرف الأقوى ثقافته وحضارته على الطرف الضعيف، حيث تصبح الاستعانة بأنظمة الغير وأفكاره ضرورة حتمية لتخطي الصعوبات التي يفرضها التأخر الحضاري، ولا تخضع العلاقات التي تربط الطرفين لنمط واحد من التواصل، فالتثقف انفتاح أيا كانت معطياته ونتائجه".[3]

إن موقف المفكرين والمثقفين العرب تجاه المثاقفة يتسم بالتباين والحذر الشديدين, "فهم حين يعترفون بأهمية المثاقفة والانفتاح على الأخر وثقافته، يؤكدون في الوقت نفسه على ضرورة التمييز بين مفهوم المثاقفة الذي يعني التفاعل المتكافئ

[1]- صلاح السروي، المثاقفة وسؤال الهوية، ص: 27.

[2]- محمد باسل سليمان، المثاقفة، تفاعلات واستيعابات، ص: 7.

[3]- بوعلام إقلولي، المثاقفة والمنهج في النقد العربي الحديث، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص:134.

والاحترام المتبادل بين مختلف الثقافات والشعوب، وبين مفاهيم أخرى قريبة منه مثل التبعية والغزو الثقافي الاستلاب والعولمة والخصوصية الثقافية".[1]

ويدرج عبد الله أبو هيف تعريفا لخلدون شمعة، عرف من خلاله المثاقفة وخص فيه المثاقفة الحضارية يقول "هي استحواذ فرد أو جماعة على خصائص حضارية من خلال الاتصال الثقافي المباشر والتفاعل الذي يعقبه، أما عناصرها فتشتمل على القيم والتقنيات والاستراتجيات النصية والتعديلات التي تطرأ عليها، عندما توضع في سياق تجربة حضارية مغايرة". [2]

فنجد عبد الله أبو هيف ينهي دراسته بتوجيه نقد لمفهوم المثاقفة قائلا:" ولا يزال أمر الغزو الثقافي محيرا لدى الكثيرين فمنهم من لا يرى أنه غزو فيختار له مسميات أخرى، ومنهم من يهون من شأنه وتأثيره ولا يجد فيه تأثير ثقافة غازية قاهرة في ثقافة ومغزوة مقهورة، وإنما يعدون المثاقفة تلاقحا معرفيا وحضاريا ويوردون حججا لا نهاية عن العلاقات الثقافية بين الشعوب".[3]

إذا عبد الله أبو هيف قام برصد مختلف المفاهيم الأخرى التي تدل على الاتجاه السلبي الذي تسير فيه العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، وأهم هذه المفاهيم بالإضافة إلى مفهوم الغزو الثقافي، مفهوم الاستقطاب والتبعية والتغريب.

ونخلص في القول أن لفظ الثقافة يشير عموما إلى التعلم والتهذيب والإدراك والفطنة والوعي والمهارة والتفوق والحذق وأحيانا الإحاطة بكثرة من المعارف والعلوم، إذا هي إنتاج المجتمع بكل ما فيه من تنوع وتناقض وتغير وثبات، وبكل ما هو عليه من أفكار وتجارب متحققة وغير متحققة ماضيا وحاضرا ومستقبلا، حيث يعتبر مصطلح المثاقفة هو وليد الثقافة، وهي مجموعة من الظواهر الناتجة عن اتصال مباشر ومتواصل بين أفراد ينتمون إلى ثقافات مختلفة.

---

[1]– م. م .رواء نعاس محمد، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي) مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، ع (3–4) ، 2008، ص:173.

[2]- منى برهومي، المسرح العربي من المثاقفة والتناسخ إلى التطويع، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع، 9 ماي 2016، جامعة تامنراست، الجزائر، ص:100.

[3]- م.م رواء نعاس محمد، المثاقفة والنثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي)، ص:173

1. مفهوم الرحلة:

أ. لغة:

الرحلة الانتقال من مكان إلى آخر، وحول هذا المعنى دارت أكثر معاجم اللغة. جاء في لسان العرب: " رحل الرجل إذا سار، ورجل رحول، وقومٌ رُحَل أي مرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال عالم بذلك مجيد له؛ ارتحل البعير رحلته سار ومضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل فهو راحل".[1]

ويستشف من كلام **ابن منظور** أن الرحلة في الأصل كانت للبعير ثم توسع مفهومها ليشمل الإنسان وغيره فعند **الجوهري:**" رحل فُلانُ وارتحل وترحَّل بمعنى، والاسم الرَّحِيلُ، واسترحلهُ، أي: سأله أن يرْحَلَ له ... الرُّحلةُ بالضَّم، الوجه الذي تريدُهُ، يُقال: أنتم رحلتي؛ أي أنتم الذين أرتحِلُ إليهم، والرِّحلة بالكسر: الارتحال؛ يُقالُ: دَنت رحلتنا، وناقة رُحيْلةُ، أي: شديدة قوية على السير، وكذلك، جمل رحيلٌ". [2]

وهو ما نطالعه كذلك عند ابن فارس :" رَحَلَ: الرَّاءُ والحاءُ واللّامُ أصل واحدٌ يدلُّ على مضي في سفر، يقال: رَحَلَ يَرْحَلُ رَحَلة والرَّحلة: الارتحال ورحَّلته إذا أضعته من مكانه، وبهذا المعنى جاء القرآن الكريم في ذكره لرحلتي قريش المعهودتين : لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2) .[3]

إذن فمعاجم اللغة تجمع على نفس المعاني لا تحيد عنها، فمدار هذه المادة اللغوية وملاكها على السير والتنقل والضرب في الأرض والترحل والارتحال.

ب. مفهوم الرحلة اصطلاحا:

لم يختلف مفهوم الرحلة اصطلاحا عن مفهومها لغة، فهي الانتقال من مكان إلى مكان آخر، إذ يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الارتحال وهي الحركة، فالحركة روح الحياة.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، تحقيق نخبة من الأساتذة، ج3 (مادة رحل)، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ص: 1608.

[2]– ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية، مادة رحل (حرف الراء)، ص: 433.

[3]– أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، مادة (رحل)، دار الفكر، سوريا، ط2، 1979م، ص: 497.

" الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة_كتابتها_ يتطلب أن يكون الرَّحالة ذا مستوى ثقافي معيّن يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة، فبهذا المعنى هي كتابة وخطاب حال اشتعال واهتمام الباحثين بها". [1]

إن معنى الرحلة كتابة وهو ما يسمّيه الباحث **سعيد يقطين ;** خطاب الرحلة :" ويعرّفه بأن عملية تلفيظ لفعل الرحلة" [2]، ويرى أن خطاب الرحلة " يتماشى مع الرحلة وعوالمها ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية". [3]

معنى هذا أن الخطاب يبدأ مع لحظة خروج الرحالة وانتقاله في أماكن متعددة ومختلفة واصفا إياها جغرافيا وعمرانيا واجتماعيا وبشريا وذاكرا ما لقِيَهُ من رحلات العلم والأدب وما دار في مجالسهم من مناقشات، وينتهي لحظة عودته.

وتعد الرحلة " الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رحلتنا، وهو عالم رُحلة أي يرحل إليه" [4]، فالرحالة بالسفر وقطع المسافات والفيافي، والتنقل في الأمصار والأقطار شرقا وغربا، يمكنه الاطلاع على الطبائع المختلفة، الاعتياد على الغريب والتمرّس بمعاملته " ففيها يصوغ الوقائع الاجتماعية راسما أشكالها، معينا ملامحها، والرحلة في أشكالها الأولى واحدة من أبرز تلك الوقائع". [5]

الرحلة، إذن " سفر واقعي أو متخيل يسمح بالسفر عبر المكان والأجناس والأنساق والكلمات، حوارا وتحويلا وتفسيرا". [6]

---

[1]– جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد بن لخضر فرار، جامعة بسكرة، 2014م_2015م، ص: 8.

[2]– سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص: 200.

[3]– المرجع نفسه، ص: 200.

[4]– أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ص: 7.

[5]– شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م، ص: 42.

[6]– عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمرات، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص: 23.

ويذهب **شعيب حليفي** في تعريفه للرحلة " الرحلة أعم من السفر، وذلك بالانتقال من مكان لآخر، الاستعانة بمجموعة من اللوازم منها الراحلة وغيرها ... ويعد أن الرحلة هي إحدى الأشكال الكبرى الأم للأدب". [1]

ولم يغدُ الكاتب الفرنسي **سافاري** الحقيقة، عندما قال :" إن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان". [2]

ومن خلال هذه التعريفات فالرحلة نص يحمل مشاهدات الرحالة وما لقيه، وعلى أن ثمار الرحلة لا تتوقف عند التعارف، أو صقل الشخصية أو كشف المجهول من طبائع البشر، لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتعذر الإحاطة بها، أي تبادل المعارف وتجديد الرؤى.

كما جاء في المعجم الأدبي " رحلة: **Littérature De Voyages**؛ نزلت الرحلة في الأدب الحديث منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم، وقد ساعد على ازدهارها اختلاط الشعوب، وسهولة المواصلات، وحب الاطلاع، ومعرفة ما في العالم من عادات وأخلاق". [3]

2. مفهوم أدب الرحلة، أهميته ودوافعه:

- **أولا: تعريف أدب الرحلة:**

إن أدب الرحلة شأنه شأن غيره من فنون الأدب، شكل أدبي يمتاز عن غيره من الأشكال والفنون الأدبية الأخرى من حيث تمتعه بمجموعة من الصفات والخصائص، إذ تعددت انتسابات النص الرحلي فهو عند المهتمّين بالتاريخ والاجتماع (رحلة) وعند المهتمين بالجغرافيا (أدب جغرافي)، أما المهتمون بالأدب فهو (أدب الرحلة) أو (أدب الرحلات).

عرف معجم المصطلحات الأدبية أدب الرحلة " بأنه مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف

---

[1]– شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص: 46.

[2]– فؤاد قنديل، أب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص: 21.

[3]–جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص: 122.

ما يراه من عادات وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها ويسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد". [1]

في حين يعرف **شعيب حليفي** أدب الرحلات " كل نص يصف رحلة أو رحلات واقعية قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرينين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه" [2]، كما أن " أدب الرحلة هو واحد من الأساليب الأدبية القديمة التي برزت في الشرق والغرب على السواء". [3]

وقد عرف **أنجيل بطرس "** أدب الرحلات هو ما يمكن أن يصف بأدب الرحلات الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها رحّال إلى بلد العالم ويُدَوِّنُ وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب ... وهناك صفتان عامتان لابد من توافرهما في أدب الرحلات وهما:

- أن يكون من يكتب في الرحلات رحّالا بطبعه محبا للرحلات.
- أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها". [4]

وبهذا التحديد يتبين لنا أن أدب الرحلات يستبعد الرحلات الخيالية ولو كانت صياغتها بأسلوب أدبي.

- **ثانيا: أهمية أدب الرحلة:**

تكمن أهمية نصوص الرحلات فيما يجده القراء في ثنايا سطورها من التحف العلمية والقيم الحضارية والأساليب الفنية والصيغ البلاغية.

" لا تقتصر مصادر المعرفة في الرحلة على ما يقوله المؤلف فقط، إذ يتسع نص الرحلة لاحتواء العديد من المنقولات المختلفة المشتملة على الحكايات أو الأخبار

---

[1]– مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: 16.

[2]– شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص: 84.

[3]– المرجع نفسه، ص: 48.

[4]– ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1995، ص: 38.

أو الرسائل أو غير ذلك" [1]، ولا يمكن " تصور رحلة لا يتم فيها الالتقاء بالآخر والتعرف عليه وعلى لغته وتقاليده وعاداته، لذا فإن الأسبقية لكتب الرحلات في وضع الجذور الأولى لعلم الاجتماع، وفتح مجال المقارنة بين المجتمعات ودراسة تطورها". [2]

والرحلة من أهم الوسائل " لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب نادرة وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات، اليوم وفضلا عن ذلك فقد تعددت مراكز الثقافة في ديار الإسلام ، فكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر، يدرسون على يد مشاهير الأساتذة ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدثين اللغويين وكذا الأطباء والفلاسفة". [3]

وبهذا المعنى أن كتب الرحلات تكتسي أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم.

- **ثـــالثا: قيمة أدب الرحلة:**

لا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام، لما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها، لكن نظرتهم إلى الرحلات كمبدأ أو ككل، ومن هنا للرحلات قيمتان عظيمتان: قيمة علمية، وأخرى أدبية.

أ. القيمة العلمية:

فقد " تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يدونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان جراء اتصاله المباشر بالطبيعة والناس وبالحياة خلال رحلته". [4]

فالقيمة العلمية للرحلات تبرز حالة التمكن من الجوانب العلمية على اختلاف أصنافها، وأسهمت في توطيد العلاقات بين الشعوب وحصل التعارف بينها.

---

[1]– حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1983م، ص: 6.

[2]– حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص: 18.

[3]– أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص: 12.

[4]– حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص: 6.

ب. القيمة الأدبية:

" تتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، وبالرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى". [1]

مما حدا بالدكتور **شوقي ضيف** إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب " خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة". [2]

أي مضامين هذه الرحلات في شكلها وأسلوب كتابتها ولغتها وخصائص أسلوبية وبلاغية.

- **رابـعا: دوافع الرحلة:**

تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد، إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

أ- **دوافع دينية:**

" كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة، وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة، ومن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة المقابر". [3]

ب- **دوافع علمية أو تعليمية:**

"بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب، والهندسة والعمارة وغيرها، ونذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك **عبد الله بن عباس والغزالي وابن**

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 7.

[2]- شوقي ضيف، الرحلات (فنون الأدب العربي)، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص: 6.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 19.

منده والأحنف العكبري الشاعر ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا، فما أكثرهم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية".[1]

ج- **دوافع سياسية:**

" كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو.

د- **دوافع اقتصادية:**

للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى تنذر في بلد المسافر وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص كما كانت تجوب الأقطار هنا وهناك لتعود إلينا بروايات وحكايات.

هـ- **دوافع صحية:**

تتمثل في السفر للعلاج أو الاستشفاء، أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتجال وتنذر في بلد المسافر وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث".[2]

و- **دوافع أخرى:**

"هناك أسباب للارتجال كالسخط على الأحوال أو الهروب من العقوبة مهما كان غرض الرحلة فإنها في أغلب الأحيان تعتبر سلوك إنساني يؤتي ثماره النافعة على الفرد والجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها".[3]

3. أدب الرحلة في الأدب المغربي القديم:

أولا: نشأة أدب الرحلة:

" لقد عرف العرب السفر ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المتاخمة وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وأبحرت سفنهم في مياه المحيط الهندي حيث اتجهوا شرقا نحو الهند وغربا صوب إفريقيا،

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 19.

[2]- المرجع نفسه، ص: 19.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 19.

حدث هذا كله قبل مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية وعدد دوافعها".[1]

وهناك مجموعة من الرحالة الأوائل في العصر الإسلامي " الذين جابوا بلاد الصين وكشفوا عن مجاهل الطريقين البحري والبري إليهما وإلى البلاد المجاورة، ولكنهم لم يدونوا رحلاتهم تلك أو لعلهم دونوها وفقدت ثم جمعها من أتى بعدهم من الرحالة أو الجغرافيين في مؤلفاتهم أو اقتبسوا مقتطفات منها ومن أهم هؤلاء ابن وهب القرشي وسليمان االتاجر".[2]

وكان للعرب رحلات اشتهروا بها عبر مختلف فترات تاريخهم، سواء قبل بزوغ فجر الإسلام أو بعده، والتاريخ يشهد أنه " كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة، خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا وشاملا أو جامعا، اللهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر".[3]

وبعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، ثم تولى الخلفاء الراشدون أمور المسلمين من بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " قاموا بتجييش الجيوش للفتوح الإسلامية في المشرق والمغرب، فانضوت تحت لواء الخلافة الإسلامية دول كثيرة ما أدى إلى اتساع رقعة الدولة، وكان لزاما على القائمين على الأمور أن يعرفوا مسالك هذه البلاد وطرقها، فقاموا بفتح الطرق بين المدن المختلفة وأنشؤوا نظام البريد الذي أسهم في تشجيع الرحلة بين أجزاء هذه الدولة".[4]

فهذا الاتساع شجع العرب أيضا على السياحة والوقوف على ما في هذه البلاد من عجائب وغرائب ويقول **نقولا زيادة**؛ في كتابه " وطلائع الرحالين وصلتنا بعض أخبارهم نقلا عن الرواة، ومن هؤلاء سليمان السيرافي وابن فضلان والبعض دَوَّنَ أخباره مفصلة كالمسعودي، والأول من أهل القرن التاسع (الثالث) أما الآخران، فمن رحالي

---

[1]– حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص: 79.

[2]– أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص: 40.

[3]– فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 25_26.

[4]– علي إبراهيم كردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2013م، ص: 9.

القرن العاشر (الرابع)، والظاهر أن تجار العرب من عمان وسيراف والبصرة في القرن التاسع كانوا يصلون الصين، كما كان تجار الصين يصلون الموانئ القائمة على الخليج العربي".[1]

أما بدايات الرّحل فقد أخبرنا بها بعض المؤرخين " وتعود أولى هذه البدايات إلى العصر العباسي كرحلة سلام الترجمان سنة 227هـ / 832م، ورحلة سليمان التاجر 237هـ / 851م، ورحلة ابن وهب القرشي سنة 257هـ / 871م، ورحلة ابن موسى المنجم سنة 277هـ / 850م، ورحلة اليعقوبي سنة 296هـ / 908م، بيد أن هؤلاء لم يدونوا رحلهم بل وصلت إلينا أخبارها عن طريق الرواة، أما الرحل المدونة – فأقدمها– رحلة ابن فضلان التي قام بها سنة 309هـ / 921م".[2]

منذ ذلك الحين بدأت الرحل تأخذ شكلها المستقل إلى أن أصبحت فنا له قواعده وأسسه.

ثانيا: **أنواع الرحلات:**

يمكن تقسيم الرحلة في الأدب العربي، في إطار النوع، وعلى مستوى كل الآداب إلى نوعين: رحلات واقعية ورحلات خيالية.

أ: **الرحلات الفعلية:**

" وهي رحلات يقوم بها الرحال في الوجود الفيزيائي تكون إما خارجية أو داخلية، تستند إلى مرجعية ملموسة في الزمان والمكان وأحداث واقعية، ذات خصوصيات مشتركة، بالإضافة إلى أنها تفرز أنواعا تتحدد انطلاقا من الحافز الذي وجه أحداث النص قبل تدوينها".[3]

وتنقسم إلى:

---

[1]– نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، لبنان، القاهرة، د.ط، 1987، ص: 149.

[2]– علي إبراهيم كردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، ص: 10.

[3]– شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، ص: 120.

- **رحلات سياسية:** " ظهرت نظرا لاتساع الإطار الجغرافي وما يتطلبه ذلك من إرسال للوفود لتفقد الأقاليم وتحصيل الخراج". [1]
- **رحلات دينية وعلمية:** الرحلة إلى الحج كانت إحدى أهم الرحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج فريضة واجبة، كان يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات، كانت تجمع بين الوازع الديني والمعرفي، إذ تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام فمنذ " عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية".[2]
- **رحلات تجارية واقتصادية:** كانت التجارة منذ القديم " أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، ثم إن الموقع الاستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركزا لاتقاء الطرق التجارية بين القارات".[3]

وهذا باعتبار أنها الأقدم تاريخيا " ويؤكد لنا التاريخ أن الرحلات البرية والبحرية لم يكن أصحابها مؤرخين أو جغرافيين، وإنما تجارا مثلما ذكرناه عن سليمان التاجر". [4]

- **رحلات مغامرتية:** تكون لفرض الاستطلاع وهي خارجية " وهي نصوص رحلية استكشافية تعلن عن قصدها الاستكشافي منذ البداية ... تبرز طابع العلاقة مع خطاب الفن الرسمي اتجاه الآخر، عليها أو صقلها عن طريق المثاقفة والبحث عن عناصر الاختلاف والتعدد التي تغذي النص الرحلي".[5]

" وتأتي الصور القينية أكثر منها احتمالية، متجذرة في المشاهدات، فتتحول الأوصاف إلى انطباعات وتأملات وإلى إخبار بحقائق عجيبة غير مألوفة".[6]

---

[1]– إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الله العشي، جامعة باتنة، 2005_2006، ص: 21.

[2]– المرجع نفسه، ص: 19.

[3]– جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص: 27.

[4]– فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 465.

[5]– شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، ص: 153_154.

[6]– فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 207.

ب- **الرحلات الخيالية:**

" هي على خلاف الرحلة الفعلية لا تتأسس على الوجود الفيزيائي أو التجربة المعيشة في الواقع أو الذهنية، التي تلمس عالما متخيلا يصبو إلى التأمل والتفكير ومختلف المقولات التي ترسم رحلة النفس في بحثها في عالم آخر، وصولا إلى الحقيقة واليقين للتطهير، وهي ذات طابع استكشافي لكل ما هو أسمى"[1]، وتنحصر في نوعين:

- **الرحلة الأفقية:**

" تتأسس على الحوار مع الشخصيات معنية وأبعاد فلسفية جدلية تتطلب الدقة في التغيير والتأثير، من أجل بناء الأفكار أو تشكيل تأملات تتخذ أشكالا متعددة للغير".[2]

- **الرحلة العمودية:**

تشمل رحلات المعارج والجنوح إلى عالم الغيب، وتصور مشاهد العذاب والنعيم " أدب القيامة الذي تناوله الباحثون، نجد منها كتاب التوهم للمحاسبي وجانب آخر ارتحال تخيلي، ورؤية مشاهد محاسبة الشعراء والأدباء، كرسالة الغفران لأبي العلاء المعري ... تستند إلى نصوص شعرية مفسرة أو تخيلات حكائية موثقة بالإبداع".[3]

ثالثا: أهم الرحالة العرب:

يزخر تراثنا العربي بثلة من النوابغ والعمالقة الذين كانت لهم إسهامات كثيرة في إثراء المكتبة العربية، بكتاباتهم وآثارهم الخالدة التي مازالت باقية إلى اليوم، ومن هؤلاء العمالقة الرحالة الذين كانت رحلاتهم حلقة وصل بين الشعوب والقبائل في شتى الحقب الزمنية، فالرحلة كانت سببا رئيسا في تقوية العلاقات بين الأفراد والجماعات من خلال التلاقح الثقافي والفكري الذي أدى إلى تواصل حضاري شهدته البلدان الإسلامية وجه الخصوص.

---

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص: 158.

[2]- المرجع نفسه، ص: 164.

[3]- المرجع نفسه، ص: 164.

أ- القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي):

- سلام الترجمان (227هـ / 842م):

"رجل من العراق عاش في زمن الخليفة العباسي الواثق بالله (227هـ/232م) اشتهر بين أهل سر من رأى بإجادته التحدث بعديد من اللغات حتى سمي بالترجمان؛ قام بتكليف من الواثق برحلة الى بحر قزوين ليعاين سد يأجوج ومأجوج، وبدأت رحلته عام 227هـ من سر من رأى، وقد مر بعدّة بلدان حتى وصل إلى السد، وقد وردت تفاصيل رحلته في " المسالك والممالك" لابن خردذابة، كما ذكرها كل من الأصطخري في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه و ياقوت الحموي في معجمه".[1]

- سليمان التاجر (237هـ-751م)

سليمان ... رحالة عراقي عاش في القرن الثالث الهجري، و"من تجار العراق الذين ينقلون عروض الهند والصين إلى البلاد العربية ".[2]... ترك كتابا في الرحلة يعد من أقدم ما تحت أيدينا من رحلات العرب البحرية، فإنه ألفها سنة (237هـ/851م) ولم تصلنا في كتاب مستقل، إنما وصلتنا في كتاب لعراقي عاش في القرن الرابع الهجري (العاصر ميلادي) يسمى أبا زيد السيرافي، وقد ذيل على رحلة سليمان بطائفة من الأخبار عن أهل الهند والصين، جمعها من أقوال الرحالة، ونشر الرحلة وذيلها بعض المستشرقين باسم "سلسلة التواريخ".[3]

ب-القرن الرابع هجري العاشر ميلادي

- المسعودي (ت 346ه)

" مؤرخ وجغرافي فلكي وفقيه وراوية ورحالة عربي شهير سماه بعض المستشرقين "هيردوت العرب" وقد ذاع صيته في الشرق والغرب بفضل كتبه الموسوعية الحافلة بالمعارف والعلوم وأهمها "مروج الذهب ومعادن الجوهر".[4]

---

[1]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 91.

[2]- شوقي ضيف، الرحلات، ص: 19.

[3]- كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحالة العرب، كنوز للنشر والتوزيع، قصر النيل-القاهرة، ط1، 1434هـ_2013م، ص: 19.

[4]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص: 211.

- **المقدسي (336-390هـ / 947- 1000م)**

"هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، من بيت المقدس بفلسطين، وإليه ينسب، وهو في رأي بعض المستشرقين أعظم الجغرافيين عند العرب في جميع عصورهم، عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) وجذبته الكتابة في الجغرافيا، فضرب في العالم الإسلامي وتنقل في ربوعه، ثم أخذ يدوّن هذا الكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" مصورا أحواله الجغرافية والعمرانية ". [1]

ج- القرن الخامس هجري (الحادي عشر ميلادي)

- **البيروني (362-440ه)(973-1048ه)**

أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد ونشأ في إقليم خوارزم، وينسب إلى بيرون، وهو من رحالة وجغرافي القرن الخامس للهجرة، توفي سنة (440هـ/1048م).

قام بكثير من الرحلات في الهند وتعلم لغاتها وضبط مواقع مدنها، كما صحح كثير من الأخطاء الجغرافية التي كانت مدونة عنها، وفي إقليم طبرستان أتم تأليف كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) دراسة تاريخ تظم الجماعات والطوائف المختلفة وعاداتهم وتقاليدهم وخص بالذكر منها الاحتفال بالأعياد القومية والدينية".[2]

د- القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي)

- **الإدريسي (493-560)(1100-1165م)**

أبو عبد الله محمد اكبر جغرافي بلاد المغرب والأندلس، وهو من سلالة الرسول عليه السلام، ومن بيت بني حمود الذين تملكوا بعض بلدان الأندلس في القرن (الحادي عشر) ولد في سبتة سنة 493هـ/1099م، تعلم في قرطبة ثم رحل في البلاد؛ في الأندلس والمغرب ومصر والشام واسيا الصغرى، وانتهى به المطاف إلى صقلية، ألّف كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وقد كان كتابه عبارة عن تقارير لمجموعة

[1]- شوقي ضيف، الرحلات، ص: 19.

[2]- أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ص: 137.

من الرحالة لما شاهدوه للأماكن التي زاروها، إضافة إلى مشاهده بنفسه في البلدان ولم ينشر الكتاب إلى اليوم إنما نشرت قطع منه ". [1]

- **ابن جبير (614هـ/1217م)**

"ولد أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي في بلنسية سنة 540هـ/1145م لأسرة تنتمي إلى بلدة شاطبة بالأندلس و توفي بالإسكندرية". [2]

" أديب وشاعر وفقيه وأشهر رحالة القرن السادس الهجري "الثاني عشر ميلادي" بعد الإدريسي، قام بثلاث رحلات كانت جميعها بغرض الحج إلى بيت الله الحرام لكنه لا يعود بعد أداء الفريضة مباشرة إلى مدينة غرناطة، بل يؤثر أن يدفع خطاه مشوقا لتعرف بعض البلاد العربية والإسلامية، وقد حظيت رحلاته باهتمام المؤرخين والعلماء مع أنه لم يدون غير رحلته الأولى فقط، وقد بدت من خلالها شخصية التقنية وصدقه وأدبه الجم في وصف ما تقع عليه عينه، غير معني بالغرائب والخوارق، وعلى كثرة ما كتب ونظم وحدث وعلم، فلم يترك لنا غير مجموعة من القصائد وكتابه الذي يضم رحلته وهو بعنوان " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" الذي نشره المستشرقون باسم "رحلة ابن جبير ".[3]

ه- **القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)**

- **العبدري (677هـ/1279م)**

" فقيه ولغوي وأديب رحالة مغربي قام برحلته في القرن (السابع الهجري)(الثالث عشر ميلادي) وسمّى رحلته باسمه "الرحلة العبدرية" أصله من قبيلة قريش "بني عبد الدار" وهو مرتبط ببلنسية كأول مستقر لأسرته.

هو محمد بن محمد بن على بن احمد بن مسعود العبدري يكنى بأبي عبد الله، وقد دون العبدري تفاصيل رحلته أثناء مقامه بتلمسان في كتاب يحمل عنوان "الرحلة العبدرية" يصف فيه المغرب العربي ومدنه وطرقه وسبل عيشه وبعض طبائع أهله، كما يتناول علماءه وينقل للقراء بعض أخبارها كما كان سائدا في عصره، ولم تنشر

[1]- شوقي ضيف، الرحلات، ص: 19.

[2]- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص: 323.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص:374.

الرحلة بالعربية إلا في الجزائر سنة 1965 على يد احمد بن جدو ولا تزال بالفرنسية، كما نشرت في المغرب عام 1967 بمقدمة لمحمد الفاسي".[1]

و - القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

- **ابن بطوطة (703- 776ه / 1304- 1375ه)**

" هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ولد في السابع عشر رجب سنة 703هـ الموافق الرابع عشر من فبراير سنة 1304م، أشهر الرحّالة العرب على الإطلاق لم يبلغ غيره ما بلغ من ذيوع الصيت في الشرق والغرب". [2]

في القرن الثامن الهجري حيث زار معظم البلاد الإسلامية في عصره، بل زار بعضها مرتين وثلاثا، فقد مرّ بمصر والشام والعراق والجزيرة العربية لأكثر من مرة ... وجاءت رحلته "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" سجلا حافلا عن أوضاع المسلمين، فقد شاهد الكثير وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة، فجعلت منه الأقدار رحّالة نادرا عند العرب، وقد رحل ثلاث رحلات أولها سنة 725هـ وانتهى منها 750هـ، ورحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس، ثم شرع في رحلته الثالثة إلى بلاد السودان 753هـ، وانتهى منها 854هـ، ويكون بهذا قد قضى ثمانية وعشرين عاما، وتزيد في التنقل والترحال". [3]

إن هذه الرحلات وتعدد أسماء الرحالة " يؤكدان أن الإشارة إلى كثرة الرحلات في مختلف العصور وتراميها، وتسجيل أخبار الأمم وأحاديثها، إذ تكاد هذه الرحلات

---

[1]- المرجع السابق، ص: 465.

[2]- المرجع نفسه، ص: 488.

[3]- نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، وزارة الثقافة، ط1، 2007، ص: 66_67.

التي حضنتها صفحات الكتب تتحدى الزمان وتقارب الخلود، بفائدتها التي لا تقتصر على نفر قليل من الناس، ولا عل جيل من الأجيال". [1]

الرحلات هي منابع لا تنضب، تمدنا دائما بمادة لا غنى عنها للتواصل الإنساني، بل هي سجل حضاري وثقافي.

[1]– المرجع السابق، ص: 73.

1. ملخص الرحلة:

" في بداية القرن الثالث الهجري العاشر ميلادي كانت الخلافة العبّاسية في بغداد بالرغم من المشاكل المتعددة التي أدت في نهاية المطاف لسيطرة الأتراك على الحكم، قد طبقت شهرتها الآفاق، وتتمتع بهيبة كبيرة بين جيرانها فأرسل حكامها وفودا إلى دار الخلافة إما لربط علاقات دبلوماسية أو للتحالف من أجل مواجهة أخطار محدقة، أو لطلب إرسال مرشدين دينيين لتعليم شعوب تلك البلدان الحديثة العهد الإسلامي، تعاليم الدين الإسلامي". [1]

أن ملك الصقالبة **آلمش بن يلطوار**، الذي أسلم هو وشعبه، أرسل كتابا إلى خليفة المسلمين يطلب فيه أن يرسل إليه بعثة تفقه الملك وقومه في الدين وتعرفهم شرائع الإسلام ويبني لهم مسجدا، وتنشئ لهم حصنا يتحصنون فيه، من مخالفيهم وهم ملوك الخزر، وما كان في وسع الخليفة أن يرفض مثل هذا الطلب، وأوفد بعثة رسمية تتكون من أربعة أفراد؛ **سوسن الرسي** وأصله من بلاد الروس وتعلم العربية وحسن إسلامه، و**تكين التركي** الذي يجيد لغة الأتراك التي يمر ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولغا، و**بارس الصقالبي** الذي تدل كنيته على أصله، و**أحمد بن فضلان** كفقيه ذي خبرة والذي عهد إليه برئاسة الوفد.

إن رسالة **أحمد بن فضلان**، ضمنّها مشاهداته وانطباعاته الحية، وما جمعه من معلومات في بلاد الأتراك وبلاد الصقالبة والروس وما عرفه من تاريخ ملوكهم والطرق التي يتعرفون حسبها في الكثير من شؤون حياتهم، وما بلغ علمه من عاداتهم وتقاليدهم، بل وحتى معتقداتهم.

---

[1]- محمد حمام، الرحلة بين الشرق والغرب، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 110، المغرب، ط1، 2003، ص: 134.

وقد خرجت البعثة من بغداد يوم الخميس 11 صفر 309هـ وقضى أحد عشر شهرا حتى وصل إلى ديار الصقالبة على الفولغا في 12 محرم 310 (11ماي 922م) وظل الوفد يصعد شرقا وشمالا مارا بإقليم الجبال، فهمذان، فالري ونيسابور وساروا مع نهر جيحون، فبلغوا بخاري وتابعت البعثة طريقها إلى خوارزم وعبرت هضبة أوست فوصلت إلى حوض الفولغا، واستغرقت الرحلة إحدى عشر شهرا في الذهاب، لاقى الوفد خلالها مصاعب جمة وأهوالا مذهلة، وصفها ابن فضلان وصفا جميلا بارعا يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء.

" وتحفل الرسالة بمادة اثنوغرافية قيمة جدا ومتنوعة بصورة فريدة، وهي تمس عددا من القبائل التركية البدوية القاطنة آسيا الوسطى وعددا من الشعوب التي كانت تلعب آنذاك دورا أساسيا في تاريخ أوروبا الشرقية كالبلغار والروس والخزر".[1]

فقد اهتم بحياة هذه الشعوب ومعتقداتهم وتصوراتهم النفسية، بين في هذه الرحلة الواقع المعايش في هذه الحقبة، والواقع المستمد من معايشة الآخرين.

" أصبحت مرجعا لكل من جاء بعد ابن فضلان، ورغب أن يحيط علما بهذه البلاد مثل الأصطخري والمسعودي وياقوت الحموي؛ قدم تقريبا معظم رسالة ابن فضلان موزعة على البلاد، التي تناولها في "معجم البلدان"، وكان د.سامي الدهان قد حقق جزءًا يسيرا من هذه الرسالة، كما عكف على ترجمة جزء كبير منها إلى اللغة النرويجية؛ د.فراوس رودلس بجامعة أوسلو بالنرويج، وعنه أخذ مايكل كرايتون النص الذي حوله إلى رواية بالإنجليزية باسم " أكلة الموتى".[2]

---

[1]- اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، ج1، مطبعة نخبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص: 186.

[2]- فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص: 165.

ويقول **كرايتون** " يعد مخطوط ابن فضلان أقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة الشعب الإسكندنافي، وهو بذلك وثيقة فريدة من نوعها، تصف بدقة متناهية أحداث وقعت منذ ما يزيد عن ألف عام ". [1]

وهذا كتاب **أحمد بن فضلان** يقدم لنا صورة حية للظروف السياسية في العالم الإسلامي والعلاقات بين بلاد الإسلام والبلاد المتاخمة لها في آسيا الوسطة أو الأصقاع النائية التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن آنذاك.

2. عناصر المثاقفة في رحلة ابن فضلان:

" كان للجغرافيين العرب والمسلمين اهتمام بالأسفار والتجوال في مختلف أنحاء العالم المعروف آنذاك لجمع معلوماتهم القائمة على المشاهدة والتحقيق الشخصي، مما يزيد من قيمة المعلومات التي يوردونها في رحلاتهم". [2]

فمظاهر المثاقفة لا تقتصر على جانب الأخذ والاقتباس فقط، بل تتمثل كذلك في جانب البذل والعطاء الذي يمكن أن تؤثر به ثقافة ما في غيرها من الثقافات بحكم المخالطة والحوار؛ وذلك أن **المثاقفة** عملية مشتركة تقوم على مبدأي الأخذ والعطاء وإن كانت مسألة التأثر والاستيعاب يمكن أن تحصل من جانب دون آخر، كما يمكن أن تكون جزئية أو كلية، وينطبق هذا الأمر على الرحالة بشكل كبير، الذي ينطلق من ثقافة ليدخل إلى ثقافة أو ثقافات أخرى، ليحدث التماسا بين ثقافته وبين الثقافات الأخرى.

---

[1]- مايكل كرايتون، أكلة الموتى (عن مخطوطة ابن فضلان)، تر: تيسير كامل، دار الهلال، ط2، 1999، ص:8.

[2]- جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014، ص: 49.

أولا: العنصر الثقافي في الرحلة:

تحتوي الرسالة على محاميل ثقافية قيمة، تمارس سطوتها تهمش القارئ وتلقي حضوره في الدورة الثقافية، ركز الرحالة اهتمامه وملاحظاته حول العادات والتقاليد التي تميز كل مجتمع من المجتمعات التي زارها أثناء رحلته، كما اهتم أيضا بوصف طبائع وخصال أهلها وكل ما بديارهم من مظاهر الحضارة والعمران، رسومهم واحتفالاتهم على اختلاف الطبقة الاجتماعية لكل بلد.

أ. العجم والأتراك:

يمضي الرحالة في رسالته إلى بلاد العجم والأتراك متنقلا من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى أخرى، يصف ثقافتهم، حياتهم وعاداتهم؛ إذ يخبرنا عن مهور نسائهم قائلا: " وإذا شروطهم في مهور نسائهم: تزوج فلان ابن فلان فلانة بنت فلان على كذا وكذا ألف درهم غظريفية". [1]

وكذلك أيضا شراء عقارهم وعبيدهم؛ " لا يذكرون غيرها من الدراهم، ولهم دراهم أخر صفر وحده: أربعون منها بدانق، ولهم أيضا دراهم صفر يقال لهم السمرقندية ستة منها بدانق". [2]

وقد وصف **ابن فضلان** لغة أهل خوارزم بقوله: " وهم أوحش الناس كلاما وطبعا، كلامهم أشبه شيء بصياح الزرازير؛ وبها قرية على يوم يقال لها "أردكو" كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع". [3]

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، 1379_1959م، ص: 79.

[2]- المصدر نفسه، ص: 79.

[3]- المصدر نفسه، ص: 82.

أي أن لغتهم غير متحضرة، وبأن أصواتهم لا معنى لها فلم يفهم كلامهم فما إن سمع لغتهم حتى شبهها بصياح الزرازير ونقيق الضفادع.

أما رسوم تزويجهم تقوم " وهو أن يخطب الواحد منهم إلى الآخر بعض حرمه، إما ابنته أو أخته أو بعض يملك أمره، على كذا وكذا ثوب خوارزمي، فإذا وافقه، حملها إليها، وربما كان المهر جمالا أو دواب أو غير ذلك، وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصّداق الذي وافق وليُّها عليه". [1]

وأيضا رسم سؤالهم " أن لا يقف السائل على الباب بل يدخل إلى دار الواحد منهم فيقعد ساعة واحدة عند ناره يصطلي، ثم يقول: "بكند" يعني الخبز؛ فإن أعطوه شيئا أخذ وإلا خرج ". [2]

ب. الصقالبة:

" بلغار: بالضم، والعين معجمة: مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاء وقل ما يراه أهلها أرضا ناشفة، وبناؤها بالخشب وحده، والفواكه والخيرات بأرضهم لا تنجب". [3]

"وهم من سكان الشمال في أوروبا، على أطراف نهر الفولغا (نهر إتل عند العرب) وعاصمتهم مقربة من قازان اليوم، والتي لا يزال بعض أطلالها قائما وعلى نحو ستة كيلومترات من شاطئ الفولغا الأيسر". [4]

---

[1]- المصدر السابق، ص: 93_94.

[2]- المصدر نفسه، ص: 84.

[3]- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر؛ بيروت، 1397هـ_1977م، ص: 485.

[4]- عبد الرحمن حميدة، أعمال الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984، ص: 246.

يمتاز **أحمد بن فضلان** بوصفه الإثنوغرافي لصقالبة الفولغا بالدقة والإحاطة الشاملة، فلا يكاد يغفل عن أي شيء يمس حياتهم العامة والخاصة.

فقد تحدث عن مراسيم استقبال السفراء من قبل الملك، وأن من عادة الملك الكبير أن يرسل الملوك الأربعة الذين بين يديه وإخوته وأولاده لاستقبال الوفد، يقول " فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة، وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته وأولاده، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس، وساروا معنا" [1]، وبعد أيام من وصولهم يستقبلهم بنفسه في عاصمة مملكة البلغار.

ثم يحدثنا عن عادات الطعام عند الملك فقال:" فدعا بالمائدة فقدمت وعليها اللحم المشوي وحده، فابتدأ هو وأخذ سكينا وقطع لقمة وأكلها، وثانية، وثالثة، ثم إحتز قطعة دفعها إلى سوسن الرسول، فلما تناولها جائته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه، وكذلك الرسم لا يمد أحد إلى الأكل حتى يناوله الملك بنفسه". [2]

يصف **ابن فضلان** تفاصيل ثقافتهم وآدابهم المتبعة على هذه المائدة الملكية، وهو يستشعر راحة لهذه الآداب خاصة تأكيده على " أن لكل واحد منا مائدته لا يشركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئا". [3]

ومن رسومهم " أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أخذه جّده دون أبيه، وقال: "أنا أحق به من أبيه في حضنه حتى يصير رجلا". [4]

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 113.

[2]- المصدر نفسه، ص: 116.

[3]- المصدر نفسه، ص: 116.

[4]- المصدر نفسه، ص: 131.

ج. الروس:

" روس: بضم أوّله: وسكون ثانيه، وسين مهملة، ويقال لهم رُس، بغير واو: أمة من الأمم بلادهم متاخمة للصقالبة والترك ولهم لغة برأسها ودين وشريعة لا يشاركهم فيها أحد، قال المقدسي: هم في جزيرة وبيئة تحيط بها بحيرة وهي حصن لهم ممن أرادهم، وليس لهم زرع ولا ضرع، والصقالبة يُغيرون عليهم ويأخذون أموالهم". [1]

لا يختلف أسلوب **ابن فضلان** في تناوله للروس عن تقريره الخاص بحالة شعب بلغار، بل يغوص لينقل وصفا إثنوغرافيا عن أساليب حياتهم المعاشية، وسلوكهم الاجتماعي والثقافي، وما يصنعون في ذلك من رسوم غريبة.

تحدث الرحّالة عن نظام الحكم بأنه نظام ملكي، ومن رسم الملك " أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنه، فهم يموتون بموته ويقتلون دونه، وهؤلاء يجلسون تحت سريره، وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوهر، ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه". [2]

كما أن الملك لم يكن على اتصال مباشر مع الجيوش أو الرعية قائلا " وله خليفة يسوس الجيوش؛ ويواقع الأعداء ويخلفه في رعيته". [3]

---

[1]- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 79.

[2]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 165.

[3]- المصدر نفسه، ص: 166.

د. الخزر:

" خزر: وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروفة بالدّرْبند قريب من سد ذي القرنين، الخزر اسم إقليم من قصبة تسمى إتل، وإتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم المدينة". [1]

ضمنت الرحلة الوجه السياسي لبلاد الخزر، وحياتهم اليومية حيث استغرق الرحالة في وصفه الدقيق للملك وأهم وظائفه؛ وسلوكه ورسومهم المختلفة.

وصف **ابن فضلان** رسوم ملك الخزر، وعن علاقته بشعبه قائلا:" ورسم الملك الأكبر أن لا يجلس للناس ولا يكلمهم ولا يدخل عليه أحد غير، والولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدبير المملكة على خليفته خاقان به". [2]

فالملك عندهم يسمى "خاقان" أو "خاقان الأكبر"، لا يظهر للجمهور إلا كل أربعة أشهر حفاظا –على ما يبدو– على المهابة، وله خليفة أو نائب يسمى "خاقان به" يقود الجيوش ويسوسها ويدبّر أمر المملكة.

كما أن رسم ملك الخزر " أن يكون له خمسة وعشرون امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه، يأخذها طوعا أو كرها". [3]

وأيضا تعرض الرحالة **ابن فضلان** إلى قضية هامة جدا هي قضية الترجمة ودورها في التواصل بين الشعوب والتقريب بين الثقافات ففي كل منطقة يصل عليها الرحالة، يجد ترجمان يترجم له مالا يفهمه، حيث كان يكرر في الرحلة: فقلت

---

[1]- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج2، ص: 367.

[2]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 170.

[3]- المصدر نفسه، ص: 171.

للترجمان، أقل له، ويقول **ابن فضلان:** " حدثني ترجمان الملك ... ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفا حرفا". [1]

وذلك أن رحلة **ابن فضلان** من أهم الرحلات التي أرخت لتاريخ الشعوب وحضارتهم وثقافتهم الشعبية في عصره.

ثانيا: العنصر الاجتماعي في الرحلة:

حرص **ابن فضلان** على تسجيل هذا الجانب من حياة السكان في الأماكن التي زارها على اختلاف عادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب الذين لقاهم وتعامل معهم أو سمع بهم أثناء رحلته، خاصة أنه كفقيه ينظر ويقارن بين هذه النظم وبين نظام الإسلام.

قد أعطى العادات الاجتماعية من زواج وأفراح وأحزان عند الوفاة، قدرا من الاهتمام والوصف الدقيق، كما أشار إلى عادات المأكل والملبس مما يفيد في دراسة تلك الشعوب اجتماعيا وحضاريا.

أ. العجم والأتراك:

أفاض **ابن فضلان** في الحديث عن القبائل التركية، فوصف هيئتهم، وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وطعامهم وأعرافهم الاجتماعية.

حيث يصف أحوال قبيلة منهم قائلا:" يعرفون بالغزية وإذا هم بادية لهم بيوت شعر، يحلون ويرتحلون، نرى منهم الأبيات في مكان، ومثلها في مكان آخر، على

[1]- المصدر السابق، ص: 133.

عمل البادية وتنقلهم، وإذا هم في شقاء ... غير أنهم متى اتفقوا على شيء وعزموا عليه، جاء أرذلهم وأخسهم فنقض ما أجمعوا عليه". [1]

ويصدم **ابن فضلان** عدم نظافتهم وقلة اعتنائهم بأنفسهم، في قوله:"ولا يستنجون من غائط ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك، وليس بينهم وبين الماء عمل، خاصة في الشتاء". [2]

لا يهتمون بعفة المرأة " ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، وكذلك لا تستر المرأة شيئا من بدنها عن أحد من الناس". [3]

كما لاحظ أن الترك كلهم ينتفون لحاهم إلا أسبلتهم (شواربهم) فيعبّر عن استيائه من هذه العادة إذ يقول:" والترك كلهم ينتفون لحاهم إلا أسبلتهم، وربما رأيت الشيخ الهرم منهم وقد نتف لحيته وترك شيئا منها تحت ذقنه، فإذا رآه إنسان من بعد لم يشك أنه تيس". [4]

ثم يقف عند قوم من الأتراك يقال لهم " الباشغرد" وذكر أنهم " شر الأتراك وأقذرهم وأشدهم إقداما على القتل". [5]

كما تحدث عن بعض القيم الأخلاقية للمجتمع وعاداتهم البدائية ومأكلهم للقمل " ويأكلون القمل، يتبع الواحد منهم دَرْز قرْطقة، فيقرض القمل بأسنانه؛ ولقد كان معنا

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 91.

[2]- المصدر نفسه، ص: 92.

[3]- المصدر نفسه، ص: 92.

[4]- المصدر نفسه، ص: 101.

[5]- المصدر نفسه، ص: 108.

منهم واحد قد أسلم، وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه فقصعها بظفره، ثم لحسها وقال لما رآني جيد". [1]

ب. الصقالبة:

ضمنت الرحلة صورة واضحة للصقالبة وحضارتهم، وعاداتهم وتجارتهم وسلوكهم الاجتماعي، حيث وصف أسلوب عيشهم وذكر أنهم كانوا يسكنون بيوتا على شكل قباب بقوله:" وكلهم في قباب، إلا أن قبة الملك كبيرة جدا، تسع ألف نفس وأكثر، مفروشة بالفرش الأرمني، وله في وسطها سرير مغشى بالديباج الرومي". [2]

أما طعامهم فيقوم أساسا على حساء الشعير بالنسبة للجواري والغلمان، واللحم للأسياد، وأضاف قائلا:" وربما طبخوا الشعير باللحم، فأكل الموالي اللحم وأطعموا الجواري الشعير إلا أن يكون رأس تيس فيطعمن من اللحم". [3]

وتحدث عن طريقة حفظهم للطعام. قائلا:" وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم، ولكنهم يحفرون في الأرض آبارا، ويجعلون الطعام فيها، فليس يمضي عليه إلا أيام يسيرة حتى يتغير ويريح فلا ينتفع به". [4]

والصواعق في بلادهم كثيرة جدا، وإذا وقعت الصاعقة في دار أحدهم لم يقربوه، ويتركونه حتى يتلفه الزمان ويقولون:" هذا بيت مغضوب عليهم". [5]

---

[1]- المصدر السابق، ص: 108.

[2]- المصدر نفسه، ص: 131.

[3]- المصدر نفسه، ص: 130.

[4]- المصدر نفسه، ص: 130.

[5]- المصدر نفسه، ص: 132.

وأعار **ابن فضلان** موضوع المرأة انتباها خاصا، وأثار استهجانه نزول الرجال والنساء إلى النهر ليغتسلوا جميعا عراة لا يستتر بعضهم من بعض، فيقول:" وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة، فما إستوى لي ذلك". [1]

أي لاحظ الرحالة أن علاقة الرجل بالمرأة عند البلغار هي علاقة متحررة من كل القيود، لكنه فشل في إقناعهم بأنها من العادات الرذيلة، وتصحيحها وفق ما تنص عليه تعاليم الدين الإسلامي.

ويشير إلى أن الصقالبة كانوا أحرارا في أملاكهم، يتصرفون فيها كما يشاؤون وأضاف:" وليس للملك على الصقالبة حق فيما يزرعون أو يغرسون، باستثناء ضريبة سنوية عبارة عن جلد سمور واحد عن كل بيت". [2]

ج. الروس:

وصف الرحالة بعض قدماء الروس الذين شاهدهم على نهر الفولجا، حيث قدموا للتجارة مع البلغار، ومما يذكر عن دقة ملاحظة **ابن فضلان** ووصف لباس وزينة نسائهم وصفا واضحا، واسترعت انتباهه هيئة الروس وتركيبتهم الجسدية إذ كتب:" ورأيت الروسية وقد وافوا في تجارتهم ونزلوا على نهر "إتل" فلم أر أتم أبدانا منهم، كأنهم النخل، شقر حمر، لا يلبسون القراطق ولا الخفتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيّه، ويخرج إحدى يديه منه، ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه". [3]

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 134.

[2]- المصدر نفسه، ص: 158.

[3]- المصدر نفسه، ص: 149.

كما لاحظ في روسيا عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية وأعرب عن اشمئزازه من هؤلاء الشماليين قائلا:" وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضالة، يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل، ويبنون على شطه بيوتا كبارا من الخشب". [1]

يصدم بسلوكهم الاجتماعي ولاسيما فيما يخص العلاقة بين الجنسين حيث يختفي التستر والعفة من جهة، وهو سلوك خاص بمجتمعه الثقافي_الديني؛ فحياتهم الزوجية مكشوفة لا حياء فيها.

ويصف بتقزز عاداتهم اليومية بغسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء بقوله:" ولابد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه، وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة، ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه، ثم يمتخط ويبصق فيها، ولا يدع شيئا من القذر إلا فعله في ذلك الماء، فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت". [2]

وتحدث عن تصرفهم اتجاه المرضى منهم وقال:" إذا مرض أحدهم ضربوا له خيمة، وتركوه وحيدا، ولاسيما إذا كان ضعيفا أو مملوكا، فإن برئ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه، أما إذا كان مملوكا تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير". [3]

---

[1]- المصدر السابق، ص: 151.

[2]- المصدر نفسه، ص: 152.

[3]- المصدر نفسه، ص: 154_155.

كما ذكر **ابن فضلان** بعض معاملاتهم الاجتماعية التي تتعلق بالسارق قائلا:" وإذا أصابوا سارقا أو لصا حادوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه حبلا وثيقا، وعلقوه فيها، ويبقى معلقا حتى يتقطع من المكث بالرياح والأمطار". [1]

د. الخزر:

لا يختلف أسلوب الرحالة في وصفه لبلاد الخزر عن بقية أصقاع البلاد التي مرّ بها، بل استغرق في الوصف الدقيق للحياة الشعوبية، الاجتماعية والاقتصادية لكل منطقة وكان اهتمامه الخاص برسوم ملك الخزر وعلاقته مع شعبه، وجيوشه؛ ويشير **ابن فضلان** في رحلته إلى مدة ملكهم بقول:" ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوما واحدا قتلته الرعية وخاصته_قالوا :" هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه". [2]

كما يخبرنا عن بسالة جيوشهم قائلا:" إذا بعث الملك سرية لم تولّى الدبر بوجه ولا سبب، فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها، فأما القواد والخليفة فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نسائهم وأولادهم ووهبهم إلى غيرهم، ومعهم دوابهم ومتاعهم وسلاحهم وبيوتهم، وربما علقهم بأعناقهم في الشجر". [3]

" وبحلول منتصف القرن الرابع الهجري تنوعت كتابات الجغرافيين واهتموا بالمعالم الطبيعية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية للشعوب التي يكتبون عنها". [4]

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 152.

[2]- المصدر نفسه، ص: 172.

[3]- المصدر نفسه، ص: 172.

[4]- جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، ص: 17.

وتوسع بعض الرحالة في وصف الحياة الاجتماعية، فتناول الكثير من جوانبها بالنقد والتحليل، واهتم بعضهم الآخر بعلم النبات والحيوان، فكانت الرحلات بذلك أداة تفاعل حضاري ووسيلة من وسائل التقدم.

ثالثا: العنصر الديني والعقائدي:

" لقد حث الإسلام على الرحلة والتجوال، بقصد التأمل في مخلوقات الله التي تدل على عظيمة الخالق، والاتعاظ من آثار الأمم البائدة والتعرف على الحضارات القائمة للاعتبار"". [1]

فكانوا يتلون آيات القرآن التي تحمل تلك الدلالات قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون). [2]

والآية قوله: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا). [3]

والآية الكريمة: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين). [4]

وتظهر الدلالة الدينية للرحلة من الوهلة الأولى من خلال كلمة الاستهلال، حيث بدأ الرحلة بالبسملة " بسم الله الرحمن الرحيم"، وتحيلنا هذه الافتتاحية على المرجعية الدينية التي تؤطر رحلة **ابن فضلان** من حيث الأفكار والمبادئ، وتؤسس فيما بعد لكل مشاهداته ومقارناته وأحكامه التي كان يصدرها.

---

[1]- حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1991، ص: 4.

[2]- سورة غافر، الآية: 82.

[3]- سورة الحج، الآية: 46.

[4]- سورة الأنعام، الآية: 11.

أ. العجم والأتراك:

حيث يبدي أسفه على بقائهم على دين الوثنية بقوله:" وهم مع ذلك كالحمير الضالة لا يدينون لله بدين ولا يرجعون إلى عقل، ولا يعبدون شيئا، بل يسمون كبراءهم أربابا، فإذا استشار أحدهم رئيسه في شيء قال له " يا رب إيش اعمل في كذا وكذا، (وأمرهم شورى بينهم)". [1]

ويظهر الاقتباس من خلال بعض المفردات والجمل المقتبسة من الآيات القرآنية في حديثه عن رحلته إلى القرى التركية بقوله:" (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم) [2].

ويقول أيضا:" وسمعتهم يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، تقربا بهذا القول إل من يجتاز بهم من المسلمين، لا اعتقادا لذلك ". [3]

ولكنهم لا يعرفون الزنا " ومن ظهروا منه على شيء من فعله شقوه بنصفين، وذلك أنهم يجمعون بين أغصان شجرتين ثم يشدونه بالأغصان، ويرسلون الشجرتين فينشق الذي شد إليهما". [4]

وقال بعضهم " وسمعني أقرأ قرآنا، فاستحسن القرآن، وأقبل يقول للترجمان، قل له:"لا تسكت"، وقال لي هذا الرجل يوما على لسان الترجمان" قل لهذا العربي: ألربنا

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 91.

[2]- سورة شورى، الآية: 38.

[3]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 92.

[4]- المصدر نفسه، ص: 93.

عز وجل امرأة ؟ ! فاستعظمت ذلك، وسبحت الله، واستغفرته؛ فسبح واستغفر كما فعلت". [1]

وهذا يؤكد هدف **ابن فضلان** الأساسي من الرحلة وهو نشر الإسلام ونشر الوعي بين الشعوب التي رحل إليها وتحدث عن قوم من الأتراك يقال لهم " الباشغرد" " أنهم عبدة الأوثان، فكل واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه وإذا أراد السفر أو لقاء عدو قبلها وسجد لها". [2]

وفي الرسالة أيضا " أن منهم من يزعم أن له اثنى عشر ربا: للشتاء رب، وللصيف رب، وللدواب رب، وللماء رب، ولليل رب، وللنهار رب، والرب الذي في السماء أكبرهم، إلا أنه يجتمع مع هؤلاء باتفاق، ويرضي كل واحد منهم بما يعمل شريكه (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)". [3]

وهنا تظهر وثنية الترك وعبادتهم لغير الله.

ب. الصقالبة:

إذ يصور لنا ما يتوافق أو يختلف مع الاعتقاد الإسلامي، فنجده غير راض، بشكل عام عن سطحية تمثل البلغار للمعتقد الإسلام، وانعدام تجذره في سلوكهم.

ويبرز دور الرحالة الفقيه حينما سمع خطيب الصقالبة يقول:" اللهم وأصلح الملك يلطوار ملك البلغار؛ فأنكر عليه ذلك وأن الله هو وحده الذي يذكر على المنبر، وأن خليفة المسلمين يدعى له على المنبر بالقول: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر أمير المؤمنين، فلما سأله كيف يخطب له قال ابن فضلان: باسمك

---

[1]- المصدر السابق، ص: 93.

[2]- المصدر نفسه، ص: 108.

[3]- المصدر نفسه، ص: 109.

واسم أبيك، فقال له أن أباه كافر ولا يجب أن يذكره عل المنبر، وان من تأثير ابن فضلان على الملك أن غير اسمه إلى جعفر بن عبد الله". [1]

ذكر بعض معتقدات الصقالبة منها تبركهم بعواء الكلاب جدا، ويفرحون به، لما يمثله لهم من دلالة على الخير ويقول: " ورأيتهم يتبركون بعواء الكلاب جدا ويفرحون به، ويقولون: سنة خصب وبركة وسلامة". [2]

أيضا يصف عند البلغار المواريث وطريقة توزيعها في الإسلام فيقول:" ومن رسومهم أنه إذا ولد لابن الرجل مولود أخذه جدّه دون أبيه، وقال: أنا أحق به من أبيه في حضنه حتى يصير رجلا، وإذا مات منهم الرجل ورثه أخوه، دون ولده، فعرفت الملك أن هذا غير جائز". [3]

إلا أنهم لا يزنون بشكل عام " ومن زنا منهم كائنا من كان، ضربوا له أربعة سكك وشدوا يديه ورجليه إليهما وقطعوه بالفأس من رقبته إلى فخذيه، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضا ثم تعلق كل قطعة منه ومنها على شجرة ". [4]

ثم يصف صورة للمرأة، وهذه الصورة تتعارض مع قيم وثقافة **ابن فضلان** وهدفه الديني الدعوي، التوعوي في الرحلة، فيستنكر نزول الرجل والمرأة إلى النهر والاغتسال معا عراة، وكان له ردة فعل ولكنها لم تحقق نجاحا في تغيير نمط ثقافتهم يقول:" وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك". [5]

---

[1]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، ص: 117_118.

[2]- المصدر نفسه، ص: 127..

[3]- المصدر نفسه، ص: 132.

[4]- المصدر نفسه، ص: 134.

[5]- المصدر نفسه، ص: 134.

ثم يصف فرحتهم بالإسلام، حيث " أسلم رجل على يديه، اسمه طالوت فغير اسمه إلى "عبد الله" وعلمه (الحمد لله)، و (قل هو الله أحد) فكانت فرحته بهما أكثر من فرحته أن صار ملكا للصقالبة". [1]

وفي حديثه يعرض لقصة يأجوج ومأجوج، وقص الملك عليه قصة رجل منهم له رأس أكبر من القدور الكبيرة وأنف أطول من شبر وعينان عظيمتان، وفي ذلك يظهر تأثره بالقصص القرآني الذي ورد في وصف يأجوج ومأجوج.

ثم يتحدث عن السد العظيم الذي حال بينهم وبين الباب الذي يخرجون منه وكأنه يتناص مع فكرة السد الذي ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)[2]؛ وذلك قول **ابن فضلان** " والسد أيضا قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه، فإذا أراد الله_عز وجل_ أن يخرجهم إلى الممارات سبّ لهم فتح السد". [3]

كما يصف صورة غريبة غير موجودة في ثقافته ومجتمعه تحيلنا على اختلاف الثقافات والمجتمعات، فلكل مجتمع نمط اجتماعي وثقافي وعادات وتقاليد وأعراف تختلف عن المجتمع الآخر، والمتعارف عليه بين الشعوب ومنذ أقدم العصور أن المرأة أكثر بكاء من الرجل على الميت.

---

[1]- المصدر السابق، ص: 135.

[2]- سورة الكهف، الآية: 94.

[3]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 139.

لكننا نجد ما يخالف ذلك في قول **ابن فضلان** " ولا تبكي النساء على الميت بل الرجال فهم يبكون عليه، يجيئون في اليوم الذي مات فيقفون على باب قبته فيضجون بأقبح بكاء يكون وأوحشه"[1]، فهذه صورة غير مألوفة لدى الرحالة.

ج. الروس:

أما عن معتقداتهم الدينية فما يستنتج من رسالة **ابن فضلان** هو أن ديانتهم ترتبط بمعاشهم وبحاجاتهم الاجتماعية، وبتلبية هذه الحاجات، كانوا عبدة أوثان إذ يقول:" وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان، وحولها صور صغار؛ وخلف تلك الصورة خشب طوال، فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها، ثم يقول لها:" يارب قد جئت من بلد بعيد، ومعي من الجواري كذا، حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول:" وجئتك بهذه الهدية" ثم يترك الذي معه، بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجرا معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد ولا يخالفني فيما أقول، ثم ينصرف ". [2]

يعرض **ابن فضلان** في صفحات مطولة مشاهد الدفن التي تبدوا أنها أثارت لديه انفعالات متضاربة، ويظهر ذلك من خلال عدد الصفحات التي خصصها لوصف هذا الحدث فقد سمع عن هذه العادة، ووقف عليها بنفسه من خلال حضوره لمراسيم وطقوس حرق روسي نبيل، فروعه الحدث، وهو الفقيه المؤمن بالموت والبعث والحساب، وبالجنة والنار، فصوره تصوريا دقيقا وبديعا.

---

[1]- المصدر سابق، ص: 144.

[2]- المصدر نفسه ، ص: 153.

" حتى لقد استطاع أحد رسامي الروس في نهاية القرن التاسع عشر، أن يرسم صورة حية لذلك الحفل وذلك اعتمادا على وصف ابن فضلان". [1]

د. الخزر:

يقدم لنا كل إشارات الطاعة لملك الخزر " خاقان الأكبر" فلا يدخل عليه إلا حافيا وبيده حطب يوقده بين يديه، ثم يحدثنا عن مراسم دفن الملك قائلا:" إذا مات الملك الأكبر يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا ويحفر له في كل بيت منها قبر، وتكثر الحجارة حتى تصير مثل الكحل، وتفرش فيه، وتطرح النورة فوق ذلك، وتحت الدار نهر: والنهر نهر كبير يجري، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ويقولون" حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام". [2]

كما يذكر الجرائم الشائعة في كل مجتمع مثل الزنى والسرقة والعقوبات التي تقع على مرتكبي هذه الجرائم، وطقوسهم في الدفن وشغفهم بالخمر ليلا ونهارا، وهذا ما هو غير مألوف في ثقافة رحّالتنا العربي.

وتظهر في الرحلة بصورة واضحة عبر وصف **ابن فضلان** عادات الشعوب التي مرّ بها، ومعاملاتهم ووصف جزئيات الحيات اليومية وعلاقات الرجال بالنساء وقضاياهم الاجتماعية واحتفالاتهم في الزواج والموت ومراسم الدفن وصورة المرأة في تلك الشعوب باختلاف ثقافتهم عن الآخر.

[1]- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص: 47.

[2]- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص: 170.

وتعد رسالة **ابن فضلان** دراسة اثنوغرافية** ، حيث كل إنسان يحل في بلد غريب لأول مرة، فإنه يرى أن الثقافة التي ينتمي إليها تتعارض مع الثقافة التي يراها أمامه، فيقف منها موقف المعارض أو المعجب وقد بدا هذا السلوك واضحا في رحلة **ابن فضلان** حيث ضمنها الكثير من التحاليل والانتقادات لثقافات الشعوب التي زارها.

**_ الأثنوغرافية: الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة العادات والتقاليد والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية عند جماعة معينة خلال فترة زمانية محددة، (حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص: 45).

خاتمة:

إذا كانت نهاية أي بحث تفرض إبراز أهم نتائجه فإن نهاية هذا البحث أو خاتمته تستلزم هذه القاعدة، لذلك يمكننا القول بأن أهم النتائج التي توصلنا إليها هي:

- تفيد المثاقفة معنى الانسجام مع مثاقفة الآخر والاندماج فيه مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا.
- تتجسد أهمية المثاقفة في كونها قد شكّلت ظاهرة إيجابية عرفتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل، وظلت أبلغ وسيلة للتقارب والتواصل وتبادل المعارف والخبرات وعاملا قويا عن عوامل تطور وازدهار الحضارات، ومن أهم وسائل اتصال الرحلة.
- تعتبر الرحلة من أهم الموارد التي تمكننا من التعرف على عادات وتقاليد وأسلوب حياة شعوب منسيّة، ومقارنتها بعادات وتقاليدنا الموروثة.
- أدب الرحلة شكل أدبي يمتاز عن غيره من الأشكال والفنون الأدبية الأخرى من حيث تمتعه بمجموعة من الصفات والخصائص.
- إن رحلة ابن فضلان من أوائل الرحلات الباحثة في ميثية الآخر، كما تميّزت بعض فصولها من الناحية الجمالية للأدب.
- لا يبتعد أسلوب الرحلة عن أسلوب الأديب ولا يقترب من أسلوب الجغرافي.
- اعتمد ابن فضلان أسلوبا خاصا في رحلته، وهذا ما أعطاه لمسة خاصة وسحر ورونق قلّما وجد في كتابات هذا العصر.
- تحمل الرسالة مادة تاريخية وجغرافية معتبرة، مكنتنا من معرفة الأقاليم وتاريخ شعب قلما سجلت له.
- عرضت الرحلة موضوعات اجتماعية وثقافية ارتبطت بأفعال الناس وبأخلاقهم وثقافتهم العقائدية.

- لقد مثلت رحلة ابن فضلان بوادر لقاء ومعرفة وتماس لثقافة شعوب وشملت بلدانا وأمصارا لم يسبقه أحد إليها.

وعليه فإنه على النقاد والباحثين المقبلين على إعداد مذكرات أو رسائل أو أطروحات أن يحاولوا دراسة أدب الرحلة، وذلك تميزه بخصائصه الأدبية وطابعه الفني الذي يشدّ القراء ويمدهم بعنصري المتعة والفائدة.

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- **أولا: المصادر:**

1- أحمد ابن فضلان، رسالته في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق، سامي الدهان، دمشق، 1379هـ، 1959م.

- **ثانيا: المراجع العربية:**

1- إحسان عباس، أوراق مبعثرة، بحوث ودراسات في الثقافة والتاريخ والأدب والنقد الأدبي، تحقيق عباس عبد الحليم عباس، دار الكتاب العالمي، ط1.

2- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة.

3- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.

4- جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014م.

5- حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1983م.

6- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات عند العرب، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

7- حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1991م.

8- خليل السعداني، مفهوم المثاقفة، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط2، 2003م.

9- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.

10- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، وآليات الكتابة، خطاب المتخيل، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م.

11- شوقي ضيف، الرحلات (فنون الأدب العربي)، دار المعارف، القاهرة، 1956م.

12- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.

13- عبد الرحيم مودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م.

14- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م.

15- عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت.

16- علي ابراهيم كردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م.

17- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002م.

18- كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحّالة العرب، كنوز للنشر والتوزيع، قصر النيل، القاهرة، ط1، 1434هـ.

19- محمد حمام، الرحلة بين الشرق والغرب، سلسلة: ندوات ومناضرات، رقم 110، المغرب، ط1، 2003م.

20- محمود محمد الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، المكتبة المكية، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1428هـ_2008م.

21- ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي(حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1995م.

22- نجيب التلاوي، عبد الصبور وإليوت، در والتوزيع، راسة عبر حضارية المثاقفة، د.ط.

23- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، لبنان، القاهرة، د.ط.

24- نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م.

25- ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ، 1977م.

- **ثـــــــــــالثا: المراجع المترجمة:**

1- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ج1، مطبعة نخبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م.

2- دنيس كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، دار الكتاب العرب، 2002م.

3- عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، ترجمة: محمد برادة، دار العودة، بيروت، ط1، 1980م.

4- مايكل كرايتون، أكلة الموتى (عن مخطوطة ابن فضلان)، ترجمة: تيسير كامل، دار الهلال، ط2، 1999م.

- **رابعا: المعاجم والقواميس:**

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق نخبة من الأساتذة، دار المعارف، القاهرة، د.ط. د.ت.

2- أبو الحسن أحمد بن فارس ين زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سوريا، ط2، 1979م.

3- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث القاهرة، 1430هـ_2009م.

4- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1994م.

5- منير بعلبكي، قاموس المورد_ إنجليزي _ عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1994م.

- **خامسا: المذكرات والرسائل الجامعية:**

1- إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الله العشي، جامعة باتنة، 2005_2006م.

2- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد بن لخضر فرار، جامعة بسكرة، 2014_2015م.

- **سادسا: المقالات والمجالات:**

1- بوعلام إقلولي، المثاقفة والمنهج في النقد العربي الحديث، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

2- جمال مباركي، المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة، (نماذج مختارة)، مجلة قراءات، ع 5، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة_الجزائر.

3- محمد عابد الجابري، ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثقافات شعار ظرفي، لقاء مع د. محمد الجابري، مجلة آيس، ع 2.

4- منى برهومي، المسرح العربي من المثاقفة والتناسخ إلى التطويع، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع 9، 2016، جامعة تمنراست_الجزائر.

5- م م رواء نعاس محمد، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي)، مجلة القادسية في الأداب والعلوم التربوي، ع(3_4)، 2008م.

- **سابعا: المواقع الإلكترونية:**

1- صلاح السوري، المثاقفة وسؤال الهوية (مساهمة في نظرية الأدب المقارن)، ديوان العرب، 2009، www.goodreads.com

2- محمد باسل سليمان، المثاقفة، تفاعلات واستيعابات، الحوار المتمدن، 2008/04125. www.mahewar.org

فهرس الموضوعات:

- شكر وعرفان
- مقدمة.....أ_ج

- **المدخل: المثاقفة، النشأة والتداول.**

1. مفهوم الثقافة:.....5_7
   أ. لغة.....5_6
   ب.اصطلاحا.....6_7
2. تعريف المثاقفة.....7_9
3. نشأة مصطلح المثاقفة.....9_10
4. أنواع المثاقفة:.....10_12
   أ. المثاقفة التلقائية.....11
   ب.المثاقفة القسرية.....11_12
5. مصطلح المثاقفة في الفكر العربي.....12_13

- **الفصل الأول: أدب الرحلة، المفهوم والتطور.**

1. مفهوم الرحلة:.....14_16
   أ. لغة.....14
   ب.اصطلاحا.....14_16
2. مفهوم أدب الرحلة؛ أهميته ودوافعه:.....16
   أولا: تعريف أدب الرحلة.....16_17
   ثانيا: أهمية أدب الرحلة.....17_18
   ثالثا: قيمة أدب الرحلة: أ. القيمة العلمية، ب. القيمة الأدبية.....18_19
   رابعا: دوافع الرحلة.....19_20
   - دوافع دينية.....19
   - دوافع علمية أو تعليمية.....19
   - دوافع سياسية.....20

- دوافع اقتصادية.....20
- دوافع صحية.....20
- دوافع أخرى.....20

3. أدب الرحلة في الأدب المغربي القديم:.....20_29

أولا: نشأة أدب الرحلة.....20

ثانيا: أنواع الرحلات: أ. الرحلات الفعلية، ب. الرحلات الخيالية.....22_24

ثالثا: أهم الرحالة العرب:.....24_29

أ- القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).....24_25

ب- القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).....25_26

ج- القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).....26

د- القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي).....26_27

هـ- القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي).....27_28

و- القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي).....28_29

- **الفصل الثاني: مظاهر المثاقفة في رحلة ابن فضلان.**

1. ملخص الرحلة.....30_32
2. عناصر المثاقفة في رحلة ابن فضلان.....32_51

أولا: العنصر الثقافي في الرحلة:.....33_38

أ- العجم والأتراك.....33_34

ب-الصقالبة.....34_35

ج- الروس.....36

د- الخزر.....37_38

ثانيا: العنصر الاجتماعي في الرحلة: .....38_44

أ- العجم والأتراك .....38_40

ب- الصقالبة.....40_41

ج- الروس.....41_43
د- الخزر.....43_44
ثالثا: العنصر الديني العقائدي: .....44_51
أ- العجم والأتراك.....45_46
ب- الصقالبة.....46_49
ج- الروس.....49_50
د- الخزر.....50_51
- خاتمة.....52_53
- قائمة المصادر والمراجع.....54_57
- ملحق.....58

ملخص:

يعد أدب الرحلة من الفنون الأدبية التي تتميز بخصوصية عن باقي فنون القول، فالرحلة من الأجناس الأدبية الأكثر ثراء وغنى، وانفتاحا وتعدد الأصوات والخطابات ومن أكثر تجارب العالم الخارجي تعقيدا.

كما أن العرب والمسلمون خلفوا تراثا ضخما من الرحلات نحو الآخر، ويؤكد هذا الكم الهائل من انفتاح العالم الإسلامي على الثقافات الآخرى، إذ يرجع التأليف فيه إلى فترة متقدمة تعود إلى القرن الثالث الهجري، وقد اتخذ أشكالا متعددة وطرأت عليه تغيرات شتى في المضمون والشكل، غير تطوره في الزمن.

Résumé :

Le récit de voyage est une genre de littéraire qui a une particularité spécifique le caractérisant des autres arts de la parole, le récit de voyage est l'un des genres les plus riches, et les plus ouverts ayant le plus d'adeptes et d'ouvres et l'un des plus complique des expériences qu'a vécu le monde extérieur.

Les arbres musulmans ont laissé un très grand héritage de récit de voyage, ce qui est confirmé par l'ouverture du mode musulman sur les autres cultures, ou il y a eu la période de la production littéraire la plus intense au troisième siècle de l'hégire, durant la quelle ce genre littéraire a pris plusieurs formes et a subi diverses transformations au niveau du contenu et de la forme, qui a changé son développement à travers le temps.